

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[453] القاحلة المجذبة آنذاك، ويسكنهما هناك. امتثل إبراهيم أمر ربه، وذهب بهما إلى صحراء مكة وأسكنهما في تلك الأرض، وهم بالرجوع، فضجت زوجته بالبكاء، إذ كيف تستطيع أن تعيش امرأة وحيدة مع طفل رضيع في مثل هذه الأرض؟! بكاء هاجر ومعه بكاء الطفل الرضيع هز إبراهيم من الأعماق، لكنه لم يزد على أن ناجى ربه قائلا: (رَبِّ سَدَا إِنْ سَكَنَدْتُ مِنْ دُرِّيَّ سَدَا بِيَوَادْ غَيْرِ دِي زَرْعْ عِنْدَ بَيْتِكَ الْوَحَرِّمْ رَبِّ سَدَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّ لَهُمْ يَشْكُرُونَ) (1)، ثم ودع زوجته وطفله بحزن وألم عميقين. لم يمض وقت طويل حتى نفذ طعام الأم وماؤها، وجف لبنها. بكاء الطفل أضرم في نفس الأم نارا، ودفعها لأن تبحث بقلق واضطراب عن الماء. اتجهت أولا إلى جبل "الصفاء" فلم تجد للماء أثرا، لفت نظرها بريق ماء عند جبل "المروة" فأسرعت إليه فوجدته سرابا، ثم رأت عند المروة بريقا لدى الصفاء فأسرعت إليه فما وجدت شيئا، وهكذا جالت سبع مرات بين الصفاء والمروة بحثا عن الماء. وفي النهاية، وبعد أن أشرف الطفل على الموت، انفجرت عند رجليه فجأة عين زمزم، فشرب الطفل وأمه ونجيا من الموت المحقق. الماء، رمز الحياة، وانفجار العين جر الطيور من الآفاق نحو هذه الأرض، والقوافل شاهدت حركة الطيور، فاتجهت هي أيضا نحو الماء وببركة هذه العائلة تحولت أرض مكة إلى مركز حضاري عظيم. ويقع جوار الكعبة حجر إسماعيل حيث مدفن تلك المرأة وابنها، وعلى الحاج أن يضمه إلى البيت في طوافه، أي يجب على الحاج أن يطوفوا خارج هذه الحجر وكأنه جزء من الكعبة.

1 - إبراهيم، 37.